هل عندنا قصة مصرية ؟

بقلم عبد المنعم عواد يوسف

تمهيد :

السؤال بهذا الشكل يلقي في الواقع اكثر من ظل ، ففيه تشكيك في قيمة ما هو موجود بالفعل من الفن القصصي المصري ، وربما فهم منه تحد لممارسي هذا الفن في بلادنا .

والامر ابسط من ذلك وأهون ، فما كان لنا ان نشكك في قيمة شيء فرض نفسه على الناس فرضا في شتى مجالات النشر من كتب وصحف واذاعات مرئية ومسموعة ، وما يجوز لنا ان نتحدى اناسا اثبتوا وجودهم فعلا في الحقل الادبي بما قدموه من اعمال ، قد نختلف في تقييمها ، ولكننا لا نملك في اخر الامر الا ان نحكم بأنها قصص ، بلا جدال .

وما دمنا قد طرحنا السؤال بهذا الشكل ، فلا بد ان يكون لدينا شكل سليم لما ينبغي ان تكون عليه القصة ، حتى يتسنى لنا ان نحكم على ما نقرأه من اعمال قصصية مصرية ، وهل هي قصص بالمعنى الصحيح ، ام ان الامر خلاف ذلك ، والشكل الذي نحدد على ضوئه حكمنا على القصة المصرية هو ما نقرأه في الادب الغربي من قصص بلغت شأوا بعيدا في الروعة والاتقان .

ولكننا نظلم القصة المصرية في الواقع اذا قسناها ـ وهي الناشئة ـ بالقصص الغربية التي يرجع تاريخ نشأتها الى عدة قرون .

هل ننظر الى القصة العربية في مصر اذن على انها محاولات أولى في هذا الفن ؟ لا أظن ، والا أغضبنا مبدعي القصة عندنا ، فما أحسبهم يرتضون لانفسهم ان يكونوا محاولين فحسب ، وان تكون كتاباتهم التي بذلوا في سبيل تأليفها عصارة أرواحهم مجرد محاولات .

والواقع ان المشكلة تتشعب ، وتأخذ دائما أوضاعا جديدة ، وحتى نوقف تسلسل هذه الاستطرادات ، ندخل مباشرة الى الموضوع ، وسوف يكون كلامي هذه المرة مقصورا على القصة القصيرة مرجئا الكلام عن القصة الطويلة ، الى مقال اخر .

١ ـ في القصة القصيرة :

في مجال القصة القصيرة ، لا يمكننا ان نزعم ان لدينا منها ما يستطيع ان يقف على قدميه ، ازاء الانتاج الغربي ، على الرغم من ترجمة الكثير من قصصنا القصيرة الى اللغات الاجنبية ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن هناك في مجال القصة القصيرة ما يقرب من مرتبة الكمال ، وخاصة عند كاتب عملاق كيحي حقي مثلا ، برغم ندرة انتاجه .

ان مجرد استعراض اسماء كتّاب القصة القصيرة عندنا ، وحتى المشهورين منهم فحسب ، ليعطينا فكرة جلية عن مدى استئثار هذا الفن بمزاج كثير من الادباء :

نذكر منهم : محمود تيمور ، ويوسف السباعي ، وفتحي رضوان ، ونجيب محفوظ ، وطه حسين ، ويحيى حقي ، وعبد الحليم عبد الله ، وجاذبية صدقي ، ويوسف ادريس ، وعبد الله الطوخي ، وفهمي حسين ، ونجيب الكيلاني ، وحافظ رجب ، وصالح مرسي ، ومحمد سالم ، وعبد الرحمن فهمي ، وعبد الغفار مكاوي ، وفاروق خورشيد ، وفاروق منيب ، وفتحي غانم ، واحسان عبد القدوس ، ومصطفى محمود ، وأبو المعاطي أبو النجا ، وسليمان فياض ، وسعد مكاوي ، وابراهيم الورداني ، وامين يوسف غراب ، واحمد رشدي صالح ، ورشدي عياد ، واحمد عباس صالح ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، وعبد الرحمن الخميسي الخ ...

أسماء أخذت مدى بعيدا من الشهرة ، بينما انتاجها نافث ، و خرى لم تنل شيئا من شهرة بينما انتاجها يسمو الى مراتب من الجودة لم تبلغها الاولى ، وبعضها بلغ من الجودة ما يتناسب مع بعد صيته .

والسمة الغالبة هي الاضطراب ، اضطراب الافكار والمفاهيم ، ففئة تغلب الشكل على المضمون ، واخرى تضحي بالشكل في سبيل المضمون المذهبي ، وبين كل هذه الفوضى ، يضيع الفن ، وتضيع القصة ، وترتفع الاصوات في الشكليات ، وتنأى عن الجوهر .

والواقع ان المشكلة متشعبة ، ومتداخلة ، ولا تكفي هذه العجالة لايفائها حقها من الدراسة ، ولكنها مجرد محاولة مخلصة ، تستهدف قبل كل شيء صالح هذا الفن في بلادنا .

والان تعالوا بنا ، نستعرض بسرعة ، الاسس السليمة التي تنبني عليها القصة القصيرة الجيدة ، ونبدأ حديثنا عن هذه الاسس بقولنا : ان القصة القصيرة تلتقي مع القصيدة في اكثر من موضع ، فهي كالقصيدة ، تعتمد على اللحظة الشعورية الواحدة ، اللحظة المحددة بزمان قصير ، وهي كالقصيدة تعتمد على التركيز واللفظة الموحية ، بلا زواق أو صنعة ، وهي كالقصيدة ، تسلط الضوء على ناحية بعينها، هي البؤرة التي تلتقي عندها سائر خيوط الابداع الشعاعية ، لتعطي صورة حقيقية صغيرة واضحة محددة .

وعناصر القصة القصيرة : لقطة من الحياة ، يختارها الفنان بوعي ، ثم يتركها في لا وعيه فترة تنضج خلالها ، وليست اللقطة بأكثر من نقطة ابتداء ، ثم يضيف اليها الفنان من ذاته الخلاقة ما يحيلها الى عمل فني أصيل ، انت ـ كفنان ـ ترى حادثا بعينه ، وترى صلاحيته لان يكون قصة قصيرة ، ان يكون موضوعا لبناء قصة قصيرة ، فتختزنه في لا وعيك الى درجة كافية لان يخرج ، لا كمجرد انفعال سطحي ، ولكن كعمل فني ناضج ، فالحادثة التي يلتقطها من الحياة عبارة عن بلورة صغيرة في وسط مشبع بالافكار والمشاعر هو ذهن الانسان ووجدانه ، هذه البلورة الصغيرة تنضم اليها بلورات اخرى ، لتكون في اخر الامر بلورة كبيرة محددة ، هي القصة القصيرة ، فعلى الفنان ان يركز على حادث بعينه ، حادث واحد كاف جدا لبناء قصة قصيرة كاملة ، والا خرجت البلورة متنافرة الاضلاع ، لانها ليست الا عدة بلورات متداخلة ، فالقصة القصيرة التي تعتمد على اكثر من حادث ، تخرج ضائعة الملامح ، لان الفنان لم يركز على حادث بعينه ، وهذا خطأ في « التكنيك » .

اسلوب القصة القصيرة :

وأسلوب القصة القصيرة لا بد ان يكون اسلوبا مباشرا ، اسلوبا سهلا ، بعيدا عن التنميق ، والتصنع البلاغي ، أسلوب السرد لا بد ان

يكون قريبا من لغة الرواية العادية ، لغة الحديث العادي ، والفنان الحق هو الذي يستطيع ان يجمع بين حلاوة التعبير وشموله ، وبين سهولته وعمقه .

وأسلوب الحوار ، لا نستطيع ان نفرض لونه على الكاتب ، فعلى الكاتب ان يلجأ الى اللغة العامية ، ان وجد أن مستوى الشخصية الثقافي والاجتماعي يتطلب ذلك ، وعليه أن يستعمل في الحوار الفصحى ، ان اراد ، فليست هذه هي المشكلة ، وانما المشكلة هي كيف يتمكن الكاتب من انطاق الاشخاص باللغة المناسبة لحالاتهم النفسية وتكويناتهم الاجتماعية ، ومستوياتهم الثقافية .

وكم يكون رائعا من الكاتب لو انه استطاع ان ينطق شخوصه باللغة الفصحى ، دون ان يحس القارىء بأنه يقرأ شيئا غير مألوف ، لان هذا الكاتب استطاع ان يجعل شخصيات القصة ينطقون حوارا يتمشى مع مقدراتهم النفسية والاجتماعية والثقافية بدقة بالغة ، وبمهارة واضحة ، والشواهد على ذلك كثيرة ، يكفي ان نذكر اسماء نجيب محفوظ ، ويحيى حقي ، وفتحي رضوان ، وشكري عياد . وكم من الكتاب من أنطق شخوصه باللغة العامية ، ومع هذا فقد وقع في خطأ كبير ، بأن جعل البسطاء يعبرون عن افكار لا يمكن أن تمر بأذهان امثالهم ، وهو خطأ شنيع يقع فيه كتابنا الواقعيون ، والشبان منهم ، بلا استثناء ، فيقلل ذلك من قيمة أعمالهم برغم ما فيها من نظرات صادقة ، ولمحات انسانية موفقة .

ونحن لا نطلب من الكاتب ، اكثر من مراعاة الواقعية ـ فعلا ـ في الافكار والفعال ، الصدق الشعوري ، ووضوح الرؤية هما اساس الفن الواقعي الصحيح .

لن تكون واقعيا الا اذا عبرت بصدق ، وبحيادية تامة عن حياة الناس ، صور الحياة كما هي ، بكل متناقضاتها ، بكل شرورها ومحاسنها ، بكل آمالها وآلامها ، بكل صراعاتها ، ولا تعلن عن أفكارك أنت ، وآرائك انت ، أترك الناس أحرارا يتصرفون في القصة كما يتصرفون في الحياة ، ولا تقحم آراءك الشخصية في عملك الفني . أترك لنا ان نكتشف مساوىء الحياة التي تنطوي عليها القصة بأنفسنا ، ولا تشر باصبعك الى مساوىء الداء ، فلست كفنان اكثر من عارض امين محايد ، فاذا كنت فنانا بحق ، وواعيا بحق ، فسنعرف أين تقف من الحياة ، بالتأثير الذي ستتركه في نفوسنا ، فانت كاتب أمين وواقعي لو جعلتنا بعد قراءة قصتك نحس انك تريد ان تجعلنا نتقبل برضى بعض الاوضاع الاليمة . على هذا الاساس نستطيع ان نحدد الفرق بين الكاتب الواقعي الصادق ، ومدعي الواقعية .

هناك نقطتان اخيرتان في هذا الموضوع :

النقطة الاولى :
هي اختيار الوسط الذي تدور فيه الحادثة :

هل لا بد لتكون القصة واقعية من ان تدور حوادثها بين اوساط العمال ، او في الاكواخ ، وهل لا يكون الكاتب واقعيا اذا صور الحياة المترفة التي يحياها الاغنياء ، بما فيها من أضواء ومسرات ؟

الواقع ان الذي يحدد مدى الواقعية هنا هو طريقة التناول ، فربما كانت الحادثة محور القصة تدور في أحقر الاكواخ ، ومع ذلك تخرج القصة رومانسية النزعة والاتجاه ، وقد يكون الكاتب واقعيا بحق ، برغم انه يصور حياة « العاطلين بالوراثة » بما فيها من عبث وفوضى وانهيار خلقي ، لانه أشعرنا بمتناقضات هذه الحياة ، وبمدى التفسخ والانحلال الذي يسودها ، فالعبرة ليست بوسط القصة ، وانما العبرة بكيفية المعالجة ، بطريقة تناول الموضوع .

والنقطة الثانية :
هي موضوع القصة :

هل كل حادثة تصلح لان تكون موضوعا لقصة قصيرة ، حتى ولو كانت الحادثة تافهة ظاهريا ؟

الواقع انها مسألة دقيقة ، واعتبارية في الوقت نفسه ، وليست العبرة في تفاهة الحادث الذي تدور حوله القصة ، ولكن العبرة بنضج التعبير الفني عنها ، فغالبية قصص تشيكوف القصيرة تدور حول حوادث في منتهى التفاهة ـ ظاهريا ـ ولكننا مع ذلك نرى انفسنا ازاء أعمال فنية جبارة . فالحادثة البسيطة تستحيل في يد الفنان القدير الى عمل فني رائع ، بينما تستحيل اللقطة الممتازة الى عمل ضئيل عند القاص غير المتمكن .

لهذا يجب على القاص الناشىء ان يتعب نفسه قليلا في اختيار الاحداث التي تدور حولها قصصه ، وليراع جانب الجدة والطرافة في ذلك ، فكلما كان الموضوع جديدا وطريفا كان هذا أدعى الى انتاج قصة جيدة .

لا يضير الفنان الكبير ان تكون الحادثة بسيطة ، فسوف يتمكن بما لديه من موهبة متكاملة ، وقدرة فنية ناضجة ان يجعل من هذا الحادث البسيط قصة قصيرة رائعة ، بل انه سيكشف لنا عن جوانب كثيرة ممتعة لم نكن تبدو لنا في هذا الحادث البسيط ، من خلال رؤيتنا المحدودة ، اما هو فبعمقه وشفافيته استطاع ان ينفذ الى اعماق هذا الحادث البسيط فيخرج لنا منه الاعاجيب .

وفصل الخطاب في هذا كله هو الاستعداد الفني لدى الكاتب ، الموهبة الممتازة لديه ، ولهذا لا أنصح لاحد بأن يمارس هذا الفن الا اذا استشعر في اعماقه القدرة ، والرغبة الملحة في التعبير القصصي ، لن تصبح قصاصا بحق الا اذا كنت فنانا بحق ، لا تكفي وفرة اطلاعك على الفن القصصي لتجعل منك قصاصا موهوبا ، ستكتب أشياء ، ربما اعتبرها بعض الناشرين قصصا فنشروها ، ولكن لا تغتر بذلك ، وتحسب نفسك قد اصبحت قصاصا حقا ، فيوما ما ستكتشف انت ، قبل غيرك ، انك لم تخلق لتكون قصاصا بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، لانه لا توجد لديك الموهبة التي تنميها وتشحذها القراءة ، ولكنها لن تخلقها ابدا .

على ضوء هذه الحقائق ، أرجو ان ننظر الى انتاجنا من القصص القصيرة ، وسنحكم ما اذا كان لدينا بالفعل في مصر ، قصص قصيرة بالمعنى الصحيح ، أم لا يوجد ، النظرة العميقة الصائبة وحدها هي التي ستجيب عن السؤال الذي به صدرنا هذا المقال .

٢ ـ في القصة الطويلة

الواقع اننا اذا نظرنا الى المسألة من ناحية الكم لوجدنا ان لدينا من القصص الطويلة الشيء الكثير ، فعدد كبير من الادباء يمارسون

كتابتها ، بصرف النظر عن التزامهم لاصول كتابتها من عدمه : من هؤلاء : محمود تيمور ، ونجيب محكوظ ، ويحيى حقي ، وتوفيق الحكيم ، ومحمد فريد ابو حديد ، وطه حسين ، وعبد الحليم عبد الله ، ونظمي لوقا ، والشرقاوي ، والخميسي ، وباكثير ، ويوسف ادريس ، وصالح جودت ، ويوسف السباعي ، واحسان عبد القدوس ، ولطيفة الزيات ، ومفيد الشوباشي ، ونجيب الكيلاني ، وفتحي غانم ، كما ان كاتبا مثل الاستاذ عادل كامل قد قدم لنا عملين كبيرين قبل اعتزاله الكتابة ، اما المرحوم المازني فقد ترك لنا قدرا لا بأس به منها ، وحتى الاستاذ العقاد لم يستطع ان يقاوم اغراء ممارستها ، فقدم لنا «سارة» ، ولا يغيب عن بالنا ان ننوه بجهد المرحوم محمد حسين هيكل في هذا المضمار ، فقصته « زينب » تعتبر عملا رائدا بلا ريب .

واذا تركنا مجال الحصر ، الى مجال التقييم ، وجدنا ان لدينا في القصة الطويلة قصصا بمعنى الكلمة ، بل ان بعضها ليسمو الى مصاف نظيره في الادب الغربي ، من ذلك قصص نجيب محفوظ ، والمجموعة العصرية منها بالذات، وقصتا عادل كامل « ملك من شعاع » ، و « مليم الاكبر » ، وكذلك « عودة الروح » و « يوميات نائب في الارياف » للاستاذ توفيق الحكيم ، و « الارض » و « الشوارع الخلفية » للشرقاوي ، و « رقيق الارض » لنظمي لوقا ، وكذلك «قنديل ام هاشم» و « دماء وطن » ليحيى حقي ، و « من اجل ولدي » لعبد الحليم عبد الله ، و « انا الشعب » للاستاذ فريد ابو حديد ، وكذلك قصص يوسف ادريس - الطويلة نوعا - ك « قصة حب » و « قاع المدينة » ، ونضيف الى هذه الشوامخ بعض اعمال احسان عبد القدوس ، وقصة مبشرة هي قصة « الطريق الطويل » للاستاذ نجيب الكيلاني ، ولا ننسى ان نشير الى عمل قيم مثل « الشارع الجديد » للاستاذ عبد الحميد جودة السحار .

وأنا هنا اذا كنت قد لجأت الى الحصر في مجال « التقييم » ، لا ازعم ان هذه الكتب هي كل حصيلتنا من القصص الطويلة الممتازة ، فحسبي ان اشير الى نوع القصص الذي أرى توفر الجودة الفنية فيه ، فما ذكرته ليس اكثر من « عينة » ممتازة .

والقصة الطويلة ، او « الرواية » NOVEL هي التي تستغرق حوادثها كتابا بأكمله ، وربما عدة كتب كما في ثلاثية « بين القصرين » للاستاذ نجيب محفوظ ، وهي - في العادة - عرض طويل لحياة اسرة من الاسر ، او مجتمع من المجتمعات ، او فترة زمنية معينة ، طويلة نوعا ، وأحيانا تتناول القصة الطويلة بالتفصيل النمو النفسي والاجتماعي لشخصية من الشخصيات بما يحيط بها من ظروف وملابسات .

والقصة الطويلة ، تنبني على دعائم ثابتة هي : الحقل الذي تدور فيه الاحداث ، ثم الشخصيات التي تلعب دورها فوق مسرح هذه الاحداث ، واخيرا مجموعة الاحداث التي تكون في الواقع « الهيكل العظمي » للرواية ، كل هذا من خلال فترة زمنية محددة .

فالكاتب يختار فترة زمنية معينة ، تدور فيها احداث روايته ، والامتداد الزمني هنا - بعكس القصة القصيرة - ضروري لنمو الشخصيات ، وتكاملها الاجتماعي ، ووضوح الصراع بينها وبين تقاليد المجتمع ، ومواصفاته الاخلاقية . ثم يختار الكاتب شخصيات مختلفة تصور بصدق الوانا من الناس يعيشون هذه الفترة من الزمان ، بما فيهم من تضارب الافكار والمفاهيم والمذاهب والمستويات الاجتماعية . والكاتب الحق هو الذي يختار هذه الشخصيات من مستويات ثقافية ونفسية واجتماعية مختلفة حتى يبرز الصراع بينها بدرجة واضحة . ثم يختار الكاتب من آلاف الاحداث التي تعاصر هذه الفترة احداثا بعينها ، أحداثا عامة تتصل بشخصيات الرواية من حيث كونهم مواطنين في هذا المجتمع ، وأحداثا خاصة تتصل بحياة الشخصيات الذاتية في مجتمعهم الملاصق ، وفي أسرتهم ، وحياتهم الخاصة ، وبالطبع تكون العملية « ميكانيكية » التبادل بين احداث المجتمع ، وما تمر بحياة شخصيات الرواية من احداث .

وكاتب الرواية الممتاز هو الذي يستطيع ان يصور المجتمع بصدق ، من خلال حياة الشخصيات الخاصة ، اما الكاتب المحدود النظرة ، فهو الذي يعالج حياة الشخصيات منفصلة عن المجتمع الذي حولها ، فعيب كاتب مثل « عبد الحليم عبد الله » - برغم روعة فنيته - انه يعرض علينا صورا لشخصيات اجتماعية مريضة في صراعها مع شخصيات اخرى دون ان يتعرض للمجتمع الخارجي ، متناسيا « ديناميكية » العلاقة بين الشخصيات والمجتمع . فالقارىء لن يستطيع تكوين صورة صادقة للشخصية الروائية الا اذا عرف بالضبط نوعية المجتمع الذي كان البطل يعيش فيه ، وما يدور في هذا المجتمع من صراع سياسي وثقافي واجتماعي . وعرض الصورة الصادقة للمجتمع ككل في العمل الفني ، من شأنه ان يلقي ضوءا قويا على كثير من تصرفات الشخصيات ، وسلوكها في الحياة .

انظر مثلا الى قصة « من اجل ولدي » لعبد الحليم عبد الله ، انني اعتبرها خير ما كتب ، فالصراع الاجتماعي واضح فيها ، القصة عرض امين لحياة اسرة في صراعها مع الحياة ، شخصيات القصة معبرة تماما عن حالاتها النفسية ، وكذلك الحوار فيها متناسب مع المستويات الثقافية والاجتماعية للشخصيات . اما ابطال القصة ، فهم كثيرون ، وهو اتجاه لم يكن موجودا من قبل عند هذا الكاتب ، الذي كان فيما سلف يعرض لنا البطل من الداخل ، في عالمه المغلق ، بعيدا عن صراعات المجتمع المختلفة .

فكرة البطل المفرد الذي تتسلط عليه الاضواء لم تعد مقبولة في العمل الروائي . عرض البطل من الداخل ، بصراعاته الداخلية ، دون التعرض للتأثير الخارجي للمجتمع لم تعد تلقى قبولا من قارىء اليوم . الصراع الداخلي - اي النفسي - للشخصية ، بينه وبين الصراع الخارجي - الاجتماعي - عملية تبادلية ، عملية « ديناميكية » متصلة .

وفي مجال التطبيق ، نجد ثلاثية « بين القصرين » لنجيب محفوظ، النموذج الاوفى للرواية المصرية :

مؤلفات سيمون دو فوبوار

* * *

	ق.ل
* المثقفون (جزءان)	١٤٠٠
* مغامرات الانسان	١٥٠
* الوجودية وحكمة الشعوب	١٧٥
* نحو اخلاق وجودية	٢٢٥

ترجمة جورج طرابيشي

* بريجيت باردو وآفة لوليتا ١٥٠

منشورات دار الاداب

فترة زمنية محددة تبدأ من تباشير الثورة المصرية العظيمة ، ثورة سنة ١٩١٩ وتنتهي بنهاية الحرب العالمية الثانية ، الفترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية هي المجال الزمني لهذه الرواية .

اما المجال الاجتماعي « البيئة » فهو القاهرة عامة ، وحي الازهر والحسين ، بوجه خاص ، بمواصفاته الخاصة ، واجوائه المعروف بها .

الشخصيات متعددة ومتصارعة ، هناك الطبقة الوسطى المتمثلة في السيد « احمد عبد الجواد » واسرته واصدقائه . وهناك الطبقة الدنيا المتطلعة الى مستوى الطبقة الوسطى « كبيومي الشربتلي » ، وما اعادة ترتيب محله على طريقة حديثة الا تعبير عن هذا النزوع ، وهناك الطبقة الارستقراطية المتمثلة في اسرة « شداد بك » ، والصراع « الديناميكي » دائر بين هذه الطبقات ، اناس يرتقون الى الطبقة الوسطى كأسرة « شداد » بعد انهيارها الاقتصادي ، وهناك الصراع الاجتماعي المتمثل في قسوة التقاليد التي كان يفرضها السيد احمد عبد الجواد على اسرته ، ورغبتها في تحطيم هذه الاسوار ، حيث بدت المحاولة الاولى في سبيل هذا الخروج من أسر التقاليد الصارمة ممثلة في توجه « الست امينة » الزوجة الطيعة المخلصة لزيارة « الحسين » بدون اذن من حارس هذه الاسوار التقاليدية السيد احمد عبد الجواد ، هذا الصراع الذي انتهى أخيرا بتمكن « الست أمينة » من الخروج يوميا لزيارة أولياء الله ، بعد ان كانت ستتعرض يوما لتقويض بيتها بسبب خروجها مرة واحدة ، لزيارة « سيدنا الحسين » . وهناك الصراع الثقافي : هناك ازمة المثقفين ، أشخاص يأخذون موقفا سلبيا من الاحداث والحياة كسياسيين ، واشخاص ضائعون برغم وعيهم وثقافتهم ، خذ مثلا « كمال » ، انه يمثل فئة كبيرة من المثقفين المصريين الذين نالوا حظا كبيرا من الثقافة غير المحددة ، والتي تجعلهم يقفون في حيرة من امرهم ، بين ما ورثوه من قيم وتقاليد ، وبين ما اكتسبوه من ثقافات جديدة ، هذا القلق الذي تعيشه فئة كبيرة من المثقفين المخلصين والذي تتولد عنه موجة عاصفة من الشك في كل القيم ، وكل الموروثات والمكتسبات على السواء . هذه الفئة المثقفة ، فئة مخلصة ، ولكن وعيها غير محدد ، غير واضح ، فهي لا تدري : اين تقف ؟! انها وليدة ما بعد ثورة ١٩١٩ ، هذا المجتمع الذي هبط من ذروة التماسك الوطني في الثورة ، الى حضيض الانهيار والتفسخ السياسي والوقوع في الوان الخيانات الوطنية والقومية ، فكان من جراء كل هذا خروج هذا الجيل القلق الشاك ، وكيف لا يقلق على مستقبله ؟ وكيف لا يشك في كل شيء بعد ان رأى امامه هذا الصراع الوطني الجبار ينهار ويضيع بددا ؟..

ويتحدد الصراع الثقافي بعد ذلك . يتحدد في تلك الخطوط الثورية التي استمرت حتى قيام ثورتنا الحالية ، ثورة ٢٣ يوليو المجيدة ، وقد تمثل الصراع الثقافي في بعض الشبان المنضمين الى بعض الاحزاب ، وفي البعض الاخر المنضم الى الاحزاب السرية والجماعات الدينية المتطرفة ، هذا الصراع الذي أنهى به الاستاذ نجيب محفوظ قصته ، والذي جاءت ثورتنا الحالية لتحدده في بناء مجتمع اشتراكي ديموقراطي سليم .

والواقع انني لم اعرض هذا العرض الطويل نسبيا لثلاثية « بين القصرين » الا لاعطي نموذجا سليما لما ينبغي ان تكون عليه الرواية المصرية ، هذه الرواية التي هي عبارة عن قصة حب رائعة ، وسجل سياسي واف ، وبحث اجتماعي ممتاز ، ثم هي قبل كل اعتبار : رواية مصرية صميمة ، لاسرة مصرية مائة في المائة ، عاشت في مصر فعلا ، وسط كل هذه الصراعات ، وانكوت بنار احداثها .

ومرة اخرى أتساءل :

هل لدينا الكثير من هذا المستوى الفني الرفيع في القصة ؟ لو كان الجواب بالايجاب ، لقلنا بملء أفواهنا : حقا ان لدينا قصة مصرية طويلة !!

القاهرة

عبد المنعم عواد يوسف

صدر حديثا

عاشق من افريقيا

مجموعة شعرية جديدة يعود بها الشاعر المبدع

محمد الفيتوري

الى قرائه الكثيرين بعد غياب بضعة اعوام

نكهة جديدة في اسلوب متطور

الثمن ليرتان لبنانيتان

منشورات دار الاداب